وبعد ساعات ، جاءت سيارة بيضاء صغيرة ، ومن ورائها سيارة جيب عسكرية اعلنت عن قدومها باطلاق الرصاص في الهواء . شق الحاج اسعد طريقه بين اهل القرية ، وهو يشجعهم على الاستمرار في العمل ، وبالفعل استمر الجميع وكأنهم لا يسمعون من حولهم شيئا الا حوار الغزل مع ارضهم .

ـ شو انت بيعمل هون ؟ قالها بلكنة غريبة غرابة الاحتلال .

ـ نفلح في ارضنا كما تعودنا منذ مئات السنين .

ـ لا ، هذه مش ارضك انت ، هذه ارض حكومة اسرائيل .

ـ ماذا ، لقد كنا نزرعها قبل ان نسمع بكلمة اسرائيل ، وكان اباؤنا واجدادنا يزرعونها ويفلحونها قبل ان تولد انت .

ـ انت مكتار وكح .

ـ وانت ماذا ، وبأي صفة تتحدث معي .

ـ انا ممثل حكومة اسرائيل ،

ـ انا اعرف كمختار ان الحكومة عندما تريد ان تتحدث مع المختار تطلبنا اما عن طريق الشرطة او يرسل لنا الحاكم رسالة تطلبنا بموجبه ، وعلى اية حال ، انك عطلتني عن عملي ، وادار المختار ظهره ، وكانه يضرب به عرض الحائط .

ـ اسمع يا مكتار يا وكح . بامر من الحاكم العسكري باكونك اخرج انت من هون الآن .

فكر الحاج اسعد سريعا ، انه اذا جبن امام اهل بلده فانها سقطة النهاية له ، فلملم قواه ، وصاح : اسمع ان ما من احد على وجه هذه الارض يستطيع ان يمنعني من حراثة ارضي . ورجع المختار ، وعاد الى عمله .

انتظرت سيارة المخابرات الصهيونية دقائق وهم يتجولون بانظارهم في السهل الواسع ، واعمدة الدخان ما زالت قائمة كانها نذر عصيان عنيد للسلطة . وادارت السيارات محركاتها ورجعت ، وبرجوعها ارتفع كابوس ثقيل من على صدور الجميع وبالذات من على صدر الحاج اسعد .

يوم السبت صباحا ، خرجت من بيتي مبكرا كعادتي ، ففوجئت بمرزوق ، يلقي علي تحية الصباح وهو ملثم بكوفيته القذرة .

ـ خير ان شاء الله .

ـ خير ، في انتظارك في دار بلدية الافندي وجماعته ، لقد نصحتهم باللجوء اليك ، لتحل له الاشكال واقسم لك انني لم اخبره بتفاصيل اشتراكك في العملية .

ـ اخ ايها القذر ، لقد اصبحت تتقن العمالة المزدوجة .

ـ دخلك ، ارجوك ان لا تقول لهم انني جئت اليك صباح هذا اليوم .

عندما دخلت قاعة الاستقبال استطعت ان اميز الافندي من بين كافة المراجعين ، فقد نهض يستقبلني بحرارة وكانه يعرفني من قرن . خلع فيصليته التي تغطي